مبادئ التعايش السلمي في ضوء النصوص القرآنية

الأستاذ المساعد الدكتور

علي سوادي ظاهر الجوهر

Aljawhar2017@gmail.com & ali.Swadi@sadiq.edu.iq

جامعة الإمام الصادق ـ كلية الآداب ـ قسم علوم القرآن

Principles of peaceful coexistence in light of Quranic texts

Asst. Prof. Dr.

Ali Swadi Dhahir Aljawhar

Imam Sadiq University - College of Arts - Department of Qur'anic Sciences

الملخص:-

يُعدُّ النصُ القرآني مرجعاً ثقافياً مهماً ومصدراً تشريعياً لكثير من المستويات المعرفية التي تهتم ببناء الأنساق الثقافية الأصلية والفرعية، لذا يمكن القول أنّ نسق التعايش السلمي أحد الأنساق الفرعية التي انبثقت من ثنائية الأنا والآخر وما فيها من انساق القبول والرفض والفهم المتكامل لفلسفة الحياة، وقد شغل الكثير من الباحثين قديماً وحديثاً، واهتم البحث بمعالجة نسق التعايش السلمي الذي ينطلق من الود والانسجام والانفتاح على الآخر وفق رؤى أنسنية، وبين الإكراه والتعصب والتطرف الديني الذي جاء نتيجة القراءات الأحادية والتي تفسر وتأوّل النصوص المقدسة حسب مقاسات فكرية ضيقة، وما هذه إلا اسقاطات فكرية أُقحمت على النص لمصالح ذاتية، فالدراسة تحاول الوقوف على هذه المضامين في المنطقة وتبيين الحالة الإجرائية للكشف عنها.

الكلمات المفتاحية: التعايش السلمي، آيات قرآنية، التعددية الدينية، الحوار.

Abstract:-

The Qur'anic text is an important cultural reference and a legislative source for many levels of knowledge that are concerned with building the original and sub-cultural systems. Therefore, it can be said that the system of peaceful coexistence is one of the sub-systems that emerged from the duality of the ego and the other, and its systems of acceptance and rejection and the integrated understanding of the philosophy of life. of researchers, past and present, and the research was concerned with addressing the pattern of peaceful coexistence that stems from friendliness, harmony, and openness to the other according to humanistic visions, and between coercion, intolerance, and religious extremism that came as a result of unilateral readings that interpret and interpret the sacred texts according to narrow intellectual dimensions, and these are only intellectual projections that were inserted into The text is for self-interest, so the study tries to identify these contents in the region and to show the procedural case to reveal them.

Keywords: Peaceful coexistence, Quranic verses, religious pluralism, dialogue.

مقدمة:ـ

إن دعوة النص القرآني للعيش السلمي مستمدة من مجموعة القيم والمبادئ العالمية، إذ تناقش النصوص القرآنية أنواعاً مختلفة من التعايش الديني والاجتماعي والسياسي من خلال الحوار والإحسان والصفح لتحقيق أكبر قدر من التعايش السلمي بين الأمم والشعوب والأفراد.

يضع النص القرآني أساساً متيناً لقيم المجتمع ومبادئه، وهذه القيم مشتقة مما قاله الله تعالى في سورة الحجرات الآية ١٣، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾، فهو نداء عالمي لتكوين رابطة وتعايش متناغم بين المجموعات العرقية والقبائل كافةً، مع مراعاة الحقوق والخصوصية الفردية والذاتية لكل جانب.

إنها تشكل صورة كونية للتعايش السلمي بين الأمم والشعوب والأفراد، فضلاً على أنها دعوة لإذابة التعصب وتجفيف منابع العنصرية بخاصة التي تساهم بإضعاف الأبعاد التكاملية، كذلك مساهمتها بالحفاظ على خصوصية الفرد واحترامها، وقبول انتمائه العقدي والفكري والأيديولوجي ضمن مواثيق إنسانية تقوم على الاحترام المتبادل وسن القوانين والتشريعات التي تبني التعايش السلمي.

ليس من الصعب أن نفهم أن بعض الأفكار الطفيلية التي لا علاقة لها بالشريعة السمحاء قد تغلغلت في العالم الإسلامي، ما أدى إلى انهيار نسيج البلاد، ونتيجة لذلك تبنت بعض الدول والمجتمعات مفهوم صراع الحضارات، الذي خلق صورة غير دقيقة عن الإسلام والمسلمين إذ ساهم بالصراع بين الفصائل الدينية نفسها، وبذلك نشأت حركات متطرفة روجت للإرهاب والعنف، واستُخدمت النصوص السلفية كمبرر لفكرها المتطرف، واحتساب بعض تصرفاتها على الإسلام، وتوظيف مشاعر الآخرين لتبرير ما تقوم به السلطة الحاكمة من اعمال مخالفة للعقيدة السمحاء.

تكمن مشكلة البحث في ظهور خطابات لا تفرق بين هذين المفهومين، وعدم فهم النصوص فهماً ينسجم وروح الإسلام من دون تقطيع وتفكيك لنصوصها.

إن هدف الدراسة هو ربط القرآن بالمجتمع المعاصر، بدلاً من اقتطاع النص من موقعه وزمانه، والدفاع عن الدين من المواقف المضادة التي تتهمه بالتطرف والتشدد والإكراه ونبذ التعايش السلمي.

استند البحث على المنهج التحليلي، وتتبع النصوص القرآنية للتمييز بين المفاهيم للكشف عما هو مقصودٍ، لتظهر بعد ذلك النتائج والتي منها إن دعوة التعايش السلمي دعوة قرآنية صلبة تنسجم مع الروح الإسلامية.

ومن الكتابات التي اعتنت بالتعايش السلمي منها: مبادئ التعايش السلمي في الإسلام منهجاً.. وسيرة، عبد العظيم إبراهيم المطعني، التعايش السلمي بين الأديان السماوية في الأندلس، من الفتح الإسلامي حتى نهاية دول الطوائف، علي عطية الكعبي، وغيرهما من الكتابات التي تهتم بالموضوع بيد أن بحثنا امتاز بتتبع النصوص القرآنية والنظرة القرآنية للتعايش السلمي والمبادئ الخاصة به.

المبحث الأول

التعايش السلمي وحوار الأديان

المطلب الأول

مفهوم التعايش السلمي في اللغة والاصطلاح

أولاً، التعايش السلمي لغة: لغة

يدلُّ المعنى اللغوي للتعايش على العيش والحياة، والإلفة والمودة، وكلُّ ما يعيش به الإنسان من مطعمٍ ومشربٍ، وكلُّ سيء يعاشُ فيه أو به فهو معاش، فالنهار معاش، والأرض معاش للخلق يلتمسون فيها معايشهم[١]، وفي لسان العرب يقالُ: عاش عيشة صدقٍ وعيشة سوءٍ، وتجمع على معايش قياساً، ومعائش على غير قياس[٢]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾[٣]، وفي المعجم الوسيط يدلُّ اللفظ على الألفة والمودة ومنه التعايش السلمي[٤].

أما السلم فإنه يدلُّ في اللغة على التصالح والتساير، ونبذ الحرب[٥].

وعليه فإن مفهوم التعايش مبني على مفهوم السلم، فلا يمكن لمجتمع يريد الوئام ويقصده إلا بإشاعة هذا المفهوم، ولذا كان ميلاً فطرياً مقصوداً لتقويم المجتمع واستمرارية الحياة الإجتماعية انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾[٦].

وهذا يعني إنّ المفهومين التعايش والسلم تتفجر منهما طاقات ومعاني ذات دلالات إيجابية، وأبعاد نفسية واجتماعية واخلاقية فضلاً على الأبعاد الجمالية.

ثانياً، التعايش السلمي اصطلاحاً:

يقترب المعنى الإصطلاحي للتعايش السلمي من معناه اللغوي فهو كلُّ ما يتعلق بمعيشة جماعات مع بعضها، ضمن قوانين وضوابط يتحتم الإلتزام بها لا سيما مع إضافة قيد (السلمي).

فالتعايش السلمي هو تعايش الأفراد والمجتمعات والأمم والشعوب على الإلفة والمودة مع حفظ الحقوق والواجبات والخصوصيات الذاتية، وإذا كان الواقع غير ذلك فلا يطلق عليه التعايش السلمي.

ونجد في لفظة أسلَمَ، والمسلم والإسلام تسمية تقارب وذوبان لفظي لوجود مشتركات صوتية تجعل المعاني متقاربة، لذا فإنّ تسمية الدين الذي ندين به لرب العالمين بالإسلام كان هدفه اشاعة مفهوم السلم في الحياة مقابل الإجرام كما في قوله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[٧]، نلحظ في النص المبارك أنّ هناك دعوة مقدَّسة تقوم على الخطاب القرآني وما فيه من اعتبارات وقوانين، فنواة السلم والسلام تقوم على محورين متضادين هما المجرم والمسلم، فالأول يحاول أن يزيح الثاني عن مركزها، والثاني كذلك، وكلُّ هذه الأنساق تقع ضمن ثنائية القبول والرفض.

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾[٨]، وجاء في الكشاف: "قرأ الأعمش بفتح السين واللام وهو: الاستسلام والطاعة، أي استسلموا لله وأطيعوه كافة لا يخرج أحد منكم يده عن طاعته، وقيل هو الاسلام"، ويدعو إلى دار

السلام، قال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾[٩]، ودارِ السَّلام هي الجنة، وقيل من السلامة، لأنّ أهلها سالمون من كل مكروه[١٠].

وقد ورد لفظ التعايش بتصاريفه المتعددة في القرآن الكريم بهذا المعنى في ثمانية مواضع وهي:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾[١١].

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾[١٢].

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾[١٣].

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾[١٤].

﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[١٥].

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾[١٦].

﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾[١٧].

ففي قوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾[١٨]، التي تكررت مرتان بنفس الصيغة، وصف لهذه العيشة بأنها راضية، بإسم الفاعل، بيد أن كثيراً من المفسرين قالوا: انها بمعنى مرضية لصاحبها، ففسروا راضية بإسم المفعول، ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ أَيْ: مُرْضِيَةٍ"[١٩]، والذي نميل اليه في المعنى أن العيشة هي راضية عن صاحبها ومنسجمة معه لما قدم من عطاء وبذل واستعداد وقبول في حياته الدنيا.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾[٢٠]، ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ أي "عيشاً ضيقاً في هذه الحياة الدنيا"[٢١]، وصف للمعيشة بالضنك أي الضيق وعدم الراحة والطمأنينة.

وقال: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾[٢٢]، قَوْلُهُ: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ أَيْ: "جَعَلْنَاهُ مُشْرِقًا مُنيرًا

مُضيئًا، لِيَتَمَكَّنَ النَّاسُ مِنَ التَّصَرُّفِ فِيهِ وَالذِّهَابِ وَالْمَجِيءِ لِلْمَعَاشِ وَالتَّكَسُّبِ وَالتِّجَارَاتِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ"(٢٣).

وقوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾(٢٤)، "وكثير من القرى أثرى أهلُها فبطِروا وأفسدوا في الأرض فخرّب الله ديارهم واصبحت خاوية"(٢٥)، وبهذه المعاني تفسر النصوص الأخرى، وهي من العيش والحياة والإلفة والمودة، وقد توصف تارة بالضنك وأخرى بالراضية، وهو ما يتوافق مع المعنى اللغوي والتعريف الإصطلاحي.

المطلب الثاني

معاني تدور حول مفهوم التعايش السلمي

إذا ما أردنا أن نتفحص النص القرآني جيداً، وكشف المعاني التي تدور حول التعايش السلمي فلابدّ من القول تأكيداً أنّ لفظي التعايش السلمي لم يذكرا في القرآن الكريم بهذه الصورة، بيدّ أن هناك بعض المعاني التي تقترب أو تقع في سياق المصطلح نفسه، ومنها:

أولاً: العفو والصفح، يقول الله تعالى: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٢٦) هذه دعوة للصفح والعفو للعيش السلمي حتى يأتي الله بأمره.

ثانياً: والغفران، إضافة إلى العفو والصفح، كما في قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٢٧)، يمكن أن يكون العنف مرتبطًا بالنفس، ويمكن أن يكون مرتبطًا بالزوج والأبناء، فيذكر النص العفو والصفح والغفران، حتى يعيش الإنسان في مجتمعه الصغير، وعائلته الصغيرة حياة مسالمة.

ثالثاً: والسلم والسلام، في قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾(٢٨)، دعوة للسلم والسلام للعيش والتعايش السلمي.

والصبر، في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[٢٩]، دعوة للمعية الإلهية بعد التحلي بالصبر والاستعانة به.

فمن الشواهد القرآنية في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٣٠]، يبين النص المبارك أن محور الخلاص يوم القيامة يتمثل بالإيمان بالله القدير أولاً، وبالإيمان بيوم القيامة، والإيمان بالعمل الصالح ثانياً، ودعوة المجتمعات جميعها للعيش في سلام، وأمن واطمئنان ويبقى الفصل بينهم يوم الفصل والجزاء.

وقوله عز وجل: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[٣١]، وللدعوة مراتب وللجدل مراتب، فالدعوة بالحكمة التي هي دائماً حسنة ولذا لم يقيدها النص، أما الموعظة فقد قيدت بالحسنة، لأنها قد تكون غير حسنة لا يتقبلها المقابل، والجدل بالتي هي أحسن بعد تجاوز الجدال الحسن، وقوله سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾[٣٢]، تعد الاختلافات من السمات المميزة في الألسن والألوان وهي آية من الآيات الإلهية التي لا تؤدي إلى الاختلاف بل إلى الانفتاح والتعارف والإلمام بعادات وتقاليد المجتمعات والثقافات الأخرى.

المطلب الثالث

الحوار مع الآخر

جسد القرآن الكريم مبدأ الحوار في كثير من النصوص القرآنية وبصيغ متعددة ولأشخاص تتفاوت قابلياتهم وقدراتهم ومستوياتهم في لغة الحوار، ولغة النقاش الحر وإعطاء الفكرة التي يؤمن بها للخروج برأي معتد به معتمداً على الدليل والبرهان وليس على القبول والتسليم الأعمى، فكان حوار الله تعالى مع الأنبياء والملائكة وإبليس قائماً على البرهان وإلقاء الحجة، وهناك حوار الأنبياء مع أقوامهم ومع الحكام الظلمة، ومن أوجه الحوارات:

أولاً: الحوار الإلهي مع الملائكة:

قال عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾(٣٣)، حوار بين الله تعالى وخلق من خلقه على الرغم من أن هذا الخلق لا يعصونه ما أمرهم مع ذلك فقد أعطى الحرية بالحوار والمناقشة في الجعل الإلهي وعلم الله تعالى غير المحدود مقابل علم الملائكة المحدود.

ثانياً: الحوار الإلهي مع ابليس:

قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ * قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ * قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾(٣٤)، حوار إبليس (عليه لعائن الله) يقوم على نسق التعالي وبروز الأنا العليا والعصيان والتكبر بعدم السجود لله تعالى، وهنا الحوار يكشف الجوانب السلبية فيه.

وفي حوار آخر بين الله سبحانه وتعالى وإبليس، قال عز وجل: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ * قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ * قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ * لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾(٣٥).

في هذين النصين المباركين إشارات وحوارات إلهية بأساليب وجوانب مختلفة، في النص الأول، يأمر الله تعالى الملائكة بالسجود لهذا الخليقة في طوره الجديد وتصويره البديع فيسجد الملائكة إلا إبليس، وهنا يطرح السؤال التالي: هل إبليس من الملائكة؟ وفي سياق الجواب نقول: إنه ليس من الملائكة، لأنه لو كان إبليس من الملائكة لما خالف الأوامر الإلهية (إلا إبليس)، لأن الملائكة لم تخرق الأوامر الإلهية، فكان هناك أمر محدد لإبليس، رغم أنه كان بجانب الملائكة، قال عز وجل: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾، عندما آمرك ما الذي يمنعك من السجود؟ إذ هو مأمور على وجه التحديد بقوله: (إذ أمرتك)، بيد أن طبيعة الشيطان أن يتبنى عملية العصيان والتمرد، على عكس ما تفعله الملائكة.

فبقوله: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ سؤال في المرحلة الأولى الآدمية عن السبب الداخلي لعدم السجود، وعدم رغبتك فيه.

والنص الثاني: بعد الخلق الطيني وتسويته ونفخه، جاء الأمر إلى الملائكة وإبليس بالسجود فترك إبليس الأمر الإلهي، فنشأ التساؤل بقول تعالى: "قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيديّ" فهو سؤال عن المانع الخارجي لعدم السجود بعد المرحلة الطينية والتسوية والنفخ، فما يمنعك من السجود لما صنعته بيدي؟ "إنها مشكلة العوائق الخارجية التي، لذا فإن الإجابة تأتي على هذا النحو في كلا النصين: "أنا أفضل منه، قال تعالى: ""قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين"" الذي يكشف عن استكباره وعلوه وكفره.

يقوم الحوار على مجموعة من المعاني:

١. الأمر، قوله تعالى: ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾

٢. الطاعة، قوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ﴾

٣. العصيان، قوله تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾

٤. التعالي، قوله تعالى: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾

٥. التوعد، قوله تعالى: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾

٦. الحكم الآني، قوله تعالى: ﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾.

٧. والحكم المستقبلي، قوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

إذن الحوار مبني على طرفين، الخالق سبحانه وتعالى والمخلوق العاصي "إبليس" والنص الحواري تنبعث منه أنساق الأمر والطاعة والعصيان والتعالي والتوعد والحكم، وجميعها مستويات لها أهداف وغايات متعددة.

ثالثاً: أهداف الحوار:

نفهم من تلك الحوارات المتعددة

١- إن الحوار بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، قال سبحانه: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[٣٦]، فمعنى إلى سبيل ربك: "إلى الإسلام بِالْحِكْمَةِ بالمقالة المحكمة الصحيحة، وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وهي التي لا يخفى عليهم أنك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها، ويجوز أن يريد القرآن، أي: ادعهم بالكتاب الذي هو حكمة وموعظة حسنة وَجادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين، من غير فظاظة ولا تعنيف"[٣٧]، يؤدي هذا الحوار بهذه الخصائص إلى الكشف عن الحقيقة بعد التأمل والتفكير في تراث العقدي الآبائي.

٢- الحوار مع المخالف يجب أن يكون على أحسن وجه بالتي هي أحسن، قال سبحانه ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[٣٨]، الخلافات مهما كانت، لا تؤدي إلى الصراع والفتنة، فبعد الحوار الفكري البعيد عن الطائفية والتعصب الطائفي مع الاحتفاظ بخصوصية المتحاورين ينهي الحوار نحو التعايش السلمي والتعارف والوئام.

٣- اتباع أحسن الأقوال، يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ

﴿وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[٣٩]، هناك العديد من الأقوال، بعضها الحسن، وبعضها الأحسن، لذا فإن النص يتحدث عن الأحسن، وليس عن الحسن وهذا يوضح أهمية اتباع أحسن الأقوال عند التفكير في الحقيقة المطلوب تحقيقها بدلاً من البقاء على موقف يدع إلى التفكير الأحادي.

٤- أن يكون الحوار عقلاني وباستخدام أدوات الفكر والعقل، فقد ذم القرآن من لم يعقل، يقول تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾[٤٠]، وقال: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[٤١]، على المرء أن يحافظ على العقل وآلات السمع والبصر، وأن يطور هذه النعمة الإلهية بحيث تثمر في كل مرة بإذن ربها، فيحرم المشرع الاسلامي الخمر والسكر الذي نتيجته زوال العقل، فلا يترك مجال للتفكير والتأمل، فيوكل أثر عقله وأفكاره إلى الآباء والأجداد الذين سبقوه، ويصدر النص القرآني توبيخاً، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[٤٢].

إن التقليد الأعمى ينعكس سلبًا على التفكير، وبالتالي فهو غير مناسب للتفكر والتأمل، لذلك فإن عقاب الآخرة وحكمها يترتب على الحياة الآخرة فيعتمد أساسًا على العقل، كما يقول تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[٤٣]، فعدم السمع والعقل يقودهم إلى أن يصبح مصيرهم دخولهم في أصحاب السعير، لذا فإن الحوار القائم على العقل والفكر والتأمل سيؤدي بلا شك إلى التسامح والتسامي ورفع الخلاف وعدم التعصب، لذا فإن التعايش السلمي مفروض ومطلوب في هذا العالم وفي الآخرة تتحقق غاياته وأهدافه.

المبحث الثاني

أهداف التعايش السلمي والمشتركات الدينية

للتعايش السلمي أهداف متعددة تفرض على الجميع الالتزام بها فيما لو أرادوا اشاعة

هذا المفهوم، فنتناول الأهداف ثم المشتركات الدينية

المطلب الأول

أهداف التعايش السلمي

أولاً: اشاعة مفهوم الرحمة:

إن اشاعة هذا المفهوم الكبير بين البشر جميعاً ليكون نظاماً اجتماعياً عملياً لحياة الإنسان لا يقتصر على الميل العاطفي المنطوي على الذات، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾(٤٤)، إذ الانطواء على الذات خلاف العالمية وتحقيق الدعوة، لذا المطلوب تحقيق عالمية الدعوة والرسالة ومعرفة ثقافات الشعوب عامة لمخاطبتهم بلسانهم، كي لا تبقى هذه الدعوة مجرد شعارات ترفع، ولا يمكن تحقيق عالمية الخطاب والرسالة إلا بالرجوع إلى الفكر القرآني والرحمة القرآنية بوصفها ضرورة أخلاقية وإنسانية بما يخدم المجتمع، إذ حيثما تكون الرحمة يكون التعايش السلمي والإنفتاح على الآخر، ولذا يجب فهم العالمية جنباً إلى جنب مع الرحمة والتسامح والعطاء فهماً دون سوابق فكرية وعنصرية، الرحمة المشتقة من رحمة الله تعالى إذ وصف نفسه لعباده، قال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾(٤٥)، فلم يصف نفسه لعباده بالجبار والقهار والعذاب لم ينسبه إلى نفسه بل قال: ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾(٤٦)، فلم ينسب صفة العذاب إلى نفسه بل نسبها إلى فعله بضمير الغائب (هو)، وثم قدمت الرحمة على العذاب وهي لفتة قرآنية بليغة ودعوة إلى البدء بخطاباتنا بهذه الصفة التي تجعلك ترأف بالآخرين وتتحسس ظروفهم فلا تتسرع بالحكم السلبي اتجاههم، وبهذه الرحمة اتصف بها الرسول الكريم فكان رحمة للعالمين ورحيم بالمؤمنين، عندما تنعدم الرحمة تصبح الحياة أشبه بالغابة حياة متوترة وقاسية لا يمكن فيها قيادة المجتمع إلا بالقسوة.

إن الرحمة ليست خياراً يقبله من يقبله ويرفضه من يرفضه بل واجب على الإنسانية أن يتواصوا بالمرحمة، قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾(٤٧)، ليس المطلوب أن تكون رحيماً فقط؛ بل أن تكون هناك فاعلية لهذه الرحمة أن يتواصوا بها أحدهم مع الآخر فهي الرحمة الجمعية والفردية، هناك ذاتان فردية وجمعية ليعيش الإنسان مع أخيه الآخر في سلام وأمن ومحبة بعد إشاعة تلك الرحمة المتبادلة.

ثانياً: التعايش السلمي مع المخالفين:

قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾(٤٨)، البر والقسط في حقهم لا يعني منحهم الشرعية، بل ما هي إلا التعايش في أمن وسلام، ""لا ينهاكم الله عن البر والصلة، والمكافأة بالمعروف، والقسط للمشركين من أقاربكم وغيرهم، حيث كانوا بحال لم ينتصبوا لقتالكم في الدين والإخراج من دياركم، فليس عليكم جناح أن تصلوهم""(٤٩).

وكما قال تعالى عن الأبوين المشركين الذين كانا ولدهما مسلماً: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾(٥٠)، حارب الشرك بضراوة وحيوية، ولكن لم يسمح النص بعقوق الوالدين بل مصاحبهما، والصحبة ليس معناها الطاعة على الشرك، وفي نص آخر تكرر عدم الطاعة -أيضاً- بقوله سبحانه: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(٥١)، ويمكن القول أن النص الأول هو تخويف وترهيب على الشرك، والنص الثاني هو تشجيع وترغيب عليه، فتكون نتيجة الترهيب والترغيب عدم الطاعة، لإعطاء الأولوية لطاعة الله الأسمى على طاعة الوالدين، ومع وجود الشرك لم يشر النص إلى ترك الأبوين، بل العيش معهم بسلام ومصاحبتهما بسلام.

ثالثاً: التعايش السلمي واحترام معتقدات الآخرين:

أكد النصُ القرآني على مبدأ احترام معتقدات الآخرين، لأنه من المبادئ الأساسية التي تقوم عليها التعايش بمعانيه المختلفة، لذلك حرَّم القرآن إهانة المعتقدات الأخرى مهما كانت من الوهم والخطأ والتخلف، قال عز وجل: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾(٥٢)، "ناهياً لرسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عن سب آلهة المشركين وإن كان فيه مصلحة، إلا أنه يترتب عليه مفسدة أعظم منها، وهي مقابلة المشركين بسب إله المؤمنين، وهو الله لا إله إلا هو""(٥٣) إذ السب لا يجني منه إلا السب وهو دليل على ضعف الحجة ووهن الدليل.

المطلب الثاني

المشتركات الدينية

يؤكد النص القرآني على مبادئ التعايش السلمي ويدعو إلى أسس دينية وأخلاقية مشتركة، منها:

أولاً: التعايش الخُلقي:

ينحدر الخلق من نفس واحدة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾[٥٤]، يدور القرآن حول خلق القواسم المشتركة بين البشر جميعاً، وهي دعوة عالمية قائمة على إزالة الحواجز الزمكانية بين الشعوب كافة، مبنية على تقوى الله والخلق من نفس واحدة مع الشعور بالمراقبة الإلهية.

ثانياً: التعايش الإعماري:

إن الله تعالى يطلب من البشرية جمعاء إعادة بناء الأرض، وهو نداء مشترك للأمم والشعوب جميعها، قال سبحانه: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[٥٥]، يدلُ الاستعمار في النصُ المبارك على معنى الإعمار.

ثالثاً: التعايش الفطري:

يؤكد النص القرآني على الفطرة الدينية ويدعو إليها، فطرة الله تعالى، ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[٥٦]، إن الحاجة المتأصلة إلى الدين الصحيح هي أحد الأسباب المشتركة التي يدعو إليها القرآن لتأطير احتياجات التعايش للبشر جميعاً.

المطلب الثالث

الحقوق الإنسانية

تقوم الحياة على نزعة مهمة ألا وهي النزعة الإنسانية، ولا شكَ إنها تتطلب من الفرد أداء واجباته الإنسانية والدينية والأخلاقية، وكذلك لابدَ أن يكون لهذا الأداء حقوق تخضع للنظام الإنساني، ومن هذه الحقوق:

أولاً: حق الحياة:

حق الحياة من الحقوق الأساس التي كفلتها الشريعة الإسلامية، فلكل فرد الحق في أن يعيش حياة كريمة وآمنة وبتوافر الظروف اللازمة لهذه الحياة بغض النظر عن الدين والعقيدة والمذهب، "فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق"(٥٧)، والله سبحانه هو الذي سخر ما في الكون لخدمة الإنسان، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾(٥٨)، خطاب للبشر جميعاً فيشمل المخالف - أيضاً - بدلالة قوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾(٥٩)، مع وجود أولئك الذين يجادلون في الله بغير علم، فقد جعل الله الجميع خاضعين لبركاته الظاهرة والباطنة ولم يحظرها على أحد.

ولا يحق للآخرين أن يصادروا حق من حقوقه إذ هو انتهاك للحقوق التي أعطاها الله إياه(٦٠)، ونهى سبحانه وتعالى على ممارسة الظلم، قال تعالى: ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾(٦١)، ليست النعمة الإلهية للمؤمن فقط، بل هي نعمة شاملة له وللآخرين عامة لكل من يشاء ولديه الاستعداد لتحملها.

لهذا حرم الله تعالى القتل بغير حق، قال عز وجل: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾(٦٢)، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾(٦٣)، وبعد هذه العقوبة الصارمة والتشدد بالقتل بالعقاب الأخروي شرعت عقوبة أخرى وهي عقاب دنيوي فقد جعل لوليه سلطاناً وهو القصاص، كما يقول تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(٦٤).

ومن ثم جعل الدية على القتل الخطأ، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ

مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾(٦٥).

ثانياً: حق المساواة:

حق المساواة من الحقوق التي كفلتها الشريعة الإسلامية والتي تمنح الرجل والمرأة على السواء حقوقا وواجبات على أساس مبدأ المساواة، قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(٦٦)، والكلام (أيها الناس) عمومًا يشمل الرجال والنساء، ولا فرق في هذا الصدد، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ""يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد، إلا إن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ألا لا فضل لأسود على أحمر إلا بالتقوى، ألا قد بلغت؟ قالوا: نعم، قال: ليبلغ الشاهد الغائب""(٦٧).

وقال ﷺ: ((إنما هلك الذين ممن كان قبلكم، أنه إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه، والذي نفسي بيده لو كانت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها))(٦٨)، فيؤكد الحديث على مبدأ المساواة في الحقوق والواجبات(٦٩) وبين جميع المواطنين دون الالتفات إلى معتقده ودينه.

المبحث الثالث

التعددية الدينية

المطلب الأول

التعددية سنة إلهية

يُعدُّ التعدد والتنوع والاختلاف سنةً إلهيةً أودعها الله سبحانه وتعالى في الإنسان، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾(٧٠)، ويتجسد مبدأ التعددية الدينية في قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾(٧١)،لا إكراه لأن الحق محددة لا لبس فيه، فلا داعي لذلك الإكراه، لأن الإنسان حر في اختيار عقيدته ودينه الذي يدين به لرب العالمين.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ

بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[٧٢]، أَلا نَعْبُدَ إِلا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا" لَا وَثَناً، وَلَا صَنَماً، وَلَا صَلِيباً وَلَا طَاغُوتاً، وَلَا نَاراً، وَلَا شَيْئًا بَلْ نُفْرِدُ الْعِبَادَةَ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَهَذِهِ دَعْوَةُ الرُّسُلِ جميعاً"، إذ جاءوا بهذه المشتركات إلى الأمم كافة، لذلك يجب أن تكون من أصول الدعوة وأساسها عندما يتعايش الجميع بأمن وسلام.

وتتجلى مهام النبي في الدعوة والإبلاغ في:

أولاً: التذكير الديني:

كانت مهمة الرسول ﷺ التذكير والتبليغ والدعوة إلى الدين والدعوة إليه وليس إجبار الناس عليه: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾[٧٣].

النبي مكلف بالدعوة بالحكمة والموعظة وقيد الجدال بالتي هي أحسن، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[٧٤]، إن عدم الإكراه سنة الله في الخلق، قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[٧٥]، لا يمكن تصور كيف يمكن إجبار معتقد ديني دخل قلوب الناس بالقوة.

من المستحيل في هذا العالم فصل وحل القضايا الدينية على أساس المعتقد، بل الفصل يوم الجزاء، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[٧٦]، وما يفصل بين هذه الديانات هو الله تعالى، وهي مؤجلة إلى يوم القيامة، فطالما يؤجل الفصل إلى يوم القيامة، وبهذه الفكرة يمكن أن تتعايش هويات دينية متعددة ما دام الفصل مؤجل إلى يوم القيامة[٧٧].

وهذا هو المنطق القرآني الذي يخالف منطق الإكراه القائم على قولهم: إما أن تسلم وإما أن تقتل، إن منطق القرآن في قوله:

﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[٧٨].

ثانياً: الحكم بالعدل:

من مهام النبي ﷺ إقامة العدل بين الناس انطلاقاً من قوله: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾(٧٩).

ومن مهامه الأساس في الحكم مبدأ عدم الظلم، ولهذا أمر الرسول أصحابه بالهجرة إلى الحبشة في بداية المهمة، لأن هناك ملك لم يضطهد أحداً ولم يظلم أحداً، فقال: ""لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ فَإِنَّ بِهَا مَلِكًا لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ، وَهِيَ أَرْضُ صِدْقٍ، حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فَرَجًا""(٨٠)، على الرغم من أن الحبشة ليست دولة إسلامية، ولكن بسبب عدالة ملكها وحماية اللاجئين المحليين فيها، يعيش المسلمون في وئام مع الشعب الحبشي، على الرغم من الاختلافات في المعتقدات، ولكن الذي يوحدهم هو العدل وكراهية الظلم.

المطلب الثاني

القول في الجزية

أما بالنسبة للجزية فلا يتعلق الأمر بإجبارهم على الإسلام، بل يتعلق بحمايتهم والسماح لهم بالعيش مع المسلمين دون تمييز.

إن أخذ جزية أهل الكتاب هو الحفاظ على أمنهم وتعايشهم مع المسلمين ودفع ثمن هذا التعايش، لذلك فهم تحت حماية الإسلام حالهم حال أي مسلم يعيش في بلد الإسلام، لذلك فإن حياتهم وأموالهم وشرفهم مصون(٨١)، بيد أننا عندما نرجع إلى النص القرآني نلحظ التفاتة أن الجزية لم تؤخذ أبداً من أهل الكتاب جميعاً، بل ممن تحقق بهم شروط وضوابط خاصة يقررها قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾(٨٢)، (اعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى ذَكَرَ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ إِذَا كَانُوا مَوْصُوفِينَ بِصِفَاتٍ أَرْبَعَةٍ، وَجَبَتْ مُقَاتَلَتُهُمْ إِلَى أَنْ يُسْلِمُوا، أَوْ إِلَى أَنْ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ، فَالصِّفَةُ الْأُولَى: أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ... وَالصِّفَةُ الثَّانِيَةُ: مِنْ صِفَاتِهِمْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ... الصِّفَةُ الثَّالِثَةُ: مِنْ صِفَاتِهِمْ قَوْلُهُ تَعَالَى: وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ... الصِّفَةُ الرَّابِعَةُ: قَوْلُهُ: وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ)(٨٣)، وفي أحكام الجزية والشرائط والكمية والكيفية تراجع كتب الفقه(٨٤)، يقرر النص أنه يجب قتال

هذه الجماعات ولا يتوقف قتالهم حتى يستسلموا ويعطوا الجزية، التي يمكن تسميتها باسم الضريبة لتعويض المسلمين عن الخسائر التي خسروها نتيجة دخولهم في القتال، فتؤخذ من خصوص هؤلاء ولذا يقول النص: (من أهل الكتاب) ليس من الجميع، لذلك لا يشمل غيرهم من أولئك الذين يعيشون في البلدان الإسلامية أو الفقراء الذين لا يستطيعون إعطائها، حتى إن الذين يتأملون تاريخ الإسلام يقرُّون بهذه الحقيقة، فالمسيحيون الذين يدرسون ويكتبون عن الإسلام يقرون بتسامح المسلمين، يقول الدكتور رفعت محمد مرسي: ((وقد نهج المسلمون منهج الرسول الكريم وأصحابه الكرام من بعده في حسن التعامل والعشرة مع مواطنيهم من غير المسلمين، ومشاركتهم في مناسباتهم التي يفرحون بها، وفي مصائبهم التي يحزنون فيها))[٨٥]، طالما أنهم مسالمون، فهم لا يرفعون السلاح ضد المسلمين ولا يهاجمون الآخرين، فلديهم حرية المعتقد، ولا يكفي أن يمنح الإسلام الحرية لغير المسلمين كي يحتفظوا بها؛ بل سمح لهم بممارسة شعائرهم الدينية، وجعل القرآن من أسباب الإذن في القتال حماية تلك المعابد، واحترام تلك الشعائر""[٨٦]، وما يحمي أماكن عبادتهم، وهذا هو المقصود من الإذن في القتال قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[٨٧]، إذ لولا الإذن بالقتال لهدمت صوامع وبيع ومساجد وهي أماكن للعبادة الخاصة لليهود والنصارى والمسلمين[٨٨]،" من حيث المبدأ يدعو الإسلام إلى القوة العسكرية على عدة جهات منها: لمقابلة المتآمرين الذين يبغون تدمير الإسلام والقضاء عليه، وهنا تصدر أوامر الجهاد الدفاعي والدعوة إلى القوة العسكرية، وربما معظم الحروب الإسلامية في العصر الإسلامي في عهد الرسول ﷺ من هذا القبيل، مثل حرب أحد والأحزاب وحنين ومؤتة وتبوك وللحصول على حرية الدعوة والتبليغ، لأن كل دين منطقيًا أن يعيش الحرية والمطالبة بحقوقه والإعلان عن نفسه إذا منعه أحد من القيام بذلك، عندها يحق له أن يأخذ الحق بالقوة."[٨٩]، هكذا كانت حروب الرسول القائد ﷺ، لقد شُنت الحرب فقط لمقاومة الظلم والعبودية نيابة عن المؤمنين وإخراجهم من الظلام إلى النور، ومن ظلام الجهل والاضطهاد إلى حرية المعرفة والنور والإيمان، لذلك نلحظ أن التعددية الدينية لرسالة القرآن قد

استوفت مبادئ حرية العقيدة وعدم الإكراه، كما في القرآن الكريم عندما تتجلى حرية القبول أو الرفض في جميع جوانب الأفكار والمعتقدات مع الحفاظ على الصداقة والانسجام بين الداعي والمدعو.

المطلب الثالث

القول في انتشار الإسلام بالسيف

بعد انتشار الأفكار والمفاهيم القرآنية في جميع أنحاء العالم، أثار بعض الرافضين والمعاندين الشكوك، لأنهم زعموا أن هذه المفاهيم والأفكار لا يمكن نشرها إلا بالقوة والسيف، كما هو الحال مع الأعداء المعلنين والذين يقاتلون الإسلام، قال تعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ * كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ * اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ * فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ * أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[٩٠]، إن واقع قتال هؤلاء الناس مبني على كونهم معتدين على الرسول وعلى المؤمنين، وخالفوا العهد، وعزموا على اخراج الرسول، فيهاجمون الدين فيحق حينئذ للمؤمن القتال، وليس قتالاً لفرض الدين، ومثل ذلك قال في وصف أعداء الله وتنبيه المؤمنين بأفكارهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ * إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾[٩١]، تدلُّ هذه الآيات بشكل واضح على أن المعركة هي نتيجة اعتداء على الرسول والمؤمنين وليس لفرض الإسلام بالقوة فهو رد فعل وليس فرضه على الآخرين.

ولذا كانت الوثيقة أو العهد من الرسول ﷺ في المدينة يكذب هذا الادعاء والإفتراء على الإسلام، إذ إن اليهود الموجودين في المدينة وهم أصحاب ديانات مخالفة لهم عهد وذمة الله وأنهم آمنون على حياتهم وعلى دينهم وأموالهم ويمارسون شعائرهم بلا اكراه ولا اجبار عن التخلي عن دينهم يتمتعون بما للمسلمين من حقوق[٩٢].

وهكذا يمكن القول إن ((كل حروب الرسول - ﷺ - كانت ضد مجتمع حربي، وبعدَ الإفادة من كل إمكانات الإسلام بمعناه الحقيقي لقد استغل الرسول كل فرصة للسلام ولم يتجاوزها أبدا ليبدأ حربا على أي حال"[٩٣]، الحروب التي خاضها المسلمون دفاعية أو وقائية، وهذا له علاقة بالحروب ذات دوافع إسلامية مشروعة[٩٤]، والحروب التي تكون دوافعها غير إسلامية، حيث لا يتبع قادة هذه الحروب الحكم الإسلامي فهي غير مبررة، ويمكن طرح السؤال: من قال إن الإسلام يبرر كل حرب تخوضها باسمه طالما لم يتم اتباع قواعده؟ أولئك الذين يبررون محاربة الآخرين يجب أن يبدأوا من أسس مقبولة))[٩٥]، ومن هذه المسوغات المقبولة نحو:

١. الدفاع عن النفس: قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[٩٦]، فإنّ الله سبحانه أمر المؤمنين بقتال وجهاد الكفار في حالة الدفاع عن النفس مع الإلتزام بعدم الإعتداء وتجاوز الحدود الشرعية.

٢. قتال أهل البغي: قال سبحانه: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[٩٧]، لأنه أمر بمحاربة الجماعات الخارجة عن القانون التي لا تطيع الحق[٩٨]، أي إن الإسلام ضد أولئك الذين يسعون إلى الفساد في هذه الأرض، فرفع السيف والسلاح على أولئك الظالمين الذين لا يؤمنون بالآيات والعقل والمنطق، وحمل السلاح ضد شر المتعصبين والمضطهدين وليس من أجل إدخالهم في الدين بالقوة.

هناك فرق بين إيمان المتلقي بدينه، مثل اليهودية والمسيحية، وبين الحفاظ على النظام في دولة إسلامية، هذا هو طريق الحق والخير فاتبعوه، وهذا طريق الشر والباطل فاجتنبوه،

فالنظام الإسلامي به حاجةٌ إلى الجهاد لبناء الدولة والحفاظ عليها وصيانتها، ومن ثم السماح للناس بالحرية في عقيدتهم، فهذه الموارد مسموح بها بالطريقة القرآنية، وتلك الموارد غير المسموح بها يحددها رسول الله ﷺ ((عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رسول الله ﷺ إذا أراد ان يبعث سرية دعاهم فأجلسهم بين يديه ثم يقول: سيروا باسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله، لا تغلوا ولا تمثلوا ولا تغدروا ولا تقتلوا شيخاً فانياً ولا صبياً ولا امرأةً ولا تقطعوا شجراً إلا أن تضطروا إليها، وأيما رجل من أدنى المسلمين أو أفضلهم نظر إلى أحد من المشركين فهو جار حتى يسمع كلام الله، فإن تبعكم فأخوكم في الدين، وإن أبى فأبلغوه مأمنه، واستعينوا بالله))[٩٩]، هذه الأوامر والنواهي التي أصدرها الرسول ﷺ تمثل الروح الحقيقية للإسلام التي تحث على التعايش بين كل الطوائف[١٠٠] والتي تحرم انتهاك حقوق الإنسان.

الخاتمة والنتائج:

بعد هذه الرحلة مع النص القرآني ومبادئه وخصائصه التي تهدي الأفراد والجماعات والأمم والشعوب للعيش في سلام، في نهاية الرحلة القرآنية، يثمر البحث عن نتائج ومن أهمها:

١- يعدُّ التعايش السلمي نسقاً ثقافياً فرعياً كان نتاج نسق آخر أوسع منه "الأنا والآخر"، ويقوم على ثنائية القبول والرفض.

٢- العالم بوصفه قريةً صغيرة في ظل معطيات العالمية والعولمة، أصبحت المجتمعات البشرية بحاجة ماسة إلى تعايشها سلمياً.

٣- لا يمكن لنسق التعايش سلمياً أن يتحقق بالسيف والقوة والإكراه؛ بل بالألفة والمحبة والدليل والبرهان والجدال بالأحسن من دون المساس بشخصية الآخر أو هويته الثقافية الدينية.

٤- التعايش السلمي يعني أن يعيش كل فرد في مجتمع سلمي ومنسجم خالٍ من العدوان أو الإكراه.

٥- التعايش السلمي بين أفراد المجتمع لا يؤدي إلى تنازل الفرد عن المعتقدات الدينية،

بل إلى استمرار كل فرد ومعتقداته.

٦- شرعت النصوص القرآنية القتال في موارد الدفاع عن النفس والبغي، ولم تشرع القتال طالما أنهم لا يظهرون العداء، ولم يهاجمون الآخرين بغض النظر عن معتقداتهم.

هوامش البحث

(١). ظ: العين، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ) المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، ١٨٩/٢.

(٢). ظ: لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت:٧١١هـ) الناشر: دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ، ٣٢١/٦.

(٣). سورة الأعراف، من الآية: ١٠.

(٤). ظ: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات/ حامد عبد القادر/ محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة، ٦٣٩/٢.

(٥). ظ: لسان العرب، ابن منظور، ٢٩٣/١٢.

(٦). سورة قريش، الآيتان: ٣-٤.

(٧). سورة القلم، الآيتان: ٣٥-٣٦.

(٨). سورة البقرة، الآية: ٢٠٨.

(٩). سورة يونس، من الآية: ٢٥.

(١٠). ظ: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ٣٤١/٢.

(١١). سورة طه، من الآية: ١٢٤.

(١٢). سورة الأعراف، من الآية: ١٠.

(١٣). سورة الحجر، الآية: ٢٠.

(١٤). سورة القصص، من الآية: ٥٨.

(١٥). سورة الزخرف، من الآية: ٣٢.

(١٦). سورة الحاقة، الآية: ٢١، وأيضاً القارعة، الآية: ٧.

(١٧). سورة النبأ، الآية: ١١.

(١٨). سورة الحاقة، الآية: ٢١.

(١٩). تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري (ت: ٧٧٤هـ) تح: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع،ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ٢١٤/٨، وانظر: تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت: ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ) الناشر: دار الحديث - القاهرة، ط١، ص٧٦٣، وانظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت: ٤٢٧هـ) تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان،ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، ٣٠/١٠.

(٢٠). سورة طه، من الآية: ١٢٤.

(٢١). فتحُ البيان في مقاصد القرآن، محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت: ١٣٠٧هـ) عني بطبعه وقدّم له وراجعه: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنَّشْر، صَيدَا - بَيروت، عام النشر: ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ٢٩٠/٨.

(٢٢). سورة النبأ، الآية: ١١.

(٢٣). تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، ٣٠٣/٨.

(٢٤). سورة القصص، من الآية: ٥٨.

(٢٥). تيسير التفسير، إبراهيم القطان (ت: ١٤٠٤هـ)، ٥٦/٣.

(٢٦). سورة البقرة، من الآية: ١٠٩.

(٢٧). سورة التغابن، الآية: ١٤.

(٢٨). سورة البقرة، الآية: ٢٠٨.

(٢٩). سورة البقرة، الآية: ١٥٣.

(٣٠). سورة البقرة، الآية: ٦٢.

(٣١). سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٣٢). سورة الروم، الآية: ٢٢.

(٣٣). سورة البقرة، الآيات: ٣٠- ٣٢.

(٣٤). سورة الأعراف، الآيات: ١١- ١٨.

(٣٥). سورة ص، الآيات: ٧١- ٨٥.

(٣٦). سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٣٧). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ٦٤٤/٢.

(٣٨). سورة العنكبوت، الآية: ٤٦.

(٣٩). سورة الزمر، الآية: ١٨.
(٤٠). سورة الأنفال، الآية: ٢٢.
(٤١). سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.
(٤٢). سورة البقرة، الآية: ١٧٠.
(٤٣). سورة الملك، الآية: ١٠.
(٤٤). سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.
(٤٥). سورة الحجر، الآية: ٤٩.
(٤٦). سورة الحجر، الآية: ٥٠.
(٤٧). سورة البلد، الآية: ١٧.
(٤٨). سورة الممتحنة، الآية: ٨.
(٤٩). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ) تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م، ١/ ٨٥٦.
(٥٠). سورة لقمان، من الآية: ١٥.
(٥١). سورة لقمان، من الآية: ٨.
(٥٢). سورة الأنعام، من الآية: ١٠٨.
(٥٣). تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ) تح: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ٣/ ٣١٤.
(٥٤). سورة النساء، الآية: ١.
(٥٥). سورة هود، من الآية: ٦١.
(٥٦). سورة الروم، الآية: ٣٠.
(٥٧). نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، تحقيق وشرح: الشيخ محمد عبده، ط١، سنة الطبع: ١٤١٢ - ١٣٧٠ ش، المطبعة: النهضة - قم، الناشر: دار الذخائر - قم - إيران، ٨٤/٣.
(٥٨). سورة البقرة، من الآية: ٢٩.
(٥٩). سورة لقمان، الآية: ٢٠.
(٦٠). انظر: التعايش السلمي بين الأديان السماوية في الأندلس، من الفتح الإسلامي حتى نهاية دول الطوائف، علي عطية الكعبي، ط:١، ٢٠١٤م، رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٨٠٥ لسنة ٢٠١٤، ص١٤.
(٦١). سورة الإسراء، الآية: ٢٠.
(٦٢). سورة الإسراء، الآية: ٣٠.

(٦٣). سورة النساء، الآية: ٩٣.

(٦٤). سورة البقرة، الآية: ١٧٩.

(٦٥). سورة البقرة، الآية: ٩٢.

(٦٦). سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٦٧). كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي (ت: ٩٧٥هـ)، تح: بكري حياني - صفوة السقا، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ٦٩٩/٣، ح٨٥٠٢.

(٦٨). كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي ٧٣٥/٣، ح٨٦١١.

(٦٩). انظر: التعايش السلمي بين الأديان السماوية في الأندلس، ص٤١.

(٧٠). سورة هود، الآية: ١١٨.

(٧١). سورة البقرة، من الآية: ٢٥٦.

(٧٢). سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

(٧٣). سورة الغاشية، الآيتان: ٢١-٢٢.

(٧٤). سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٧٥). سورة الكهف، من الآية: ٢٩.

(٧٦). سورة الحج، الآية: ١٧.

(٧٧). انظر: مبادئ التعايش السلمي في الإسلام منهجاً.. وسيرة، عبد العظيم إبراهيم المطعني، دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة، محرم: ١٤١٧/ مايو١٩٩٦، ص١٠٠.

(٧٨). سورة آل عمران، من الآية: ٢٠.

(٧٩). سورة الشورى، من الآية: ١٥.

(٨٠). السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت: ٢١٣هـ) تح: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م، ٣٢١/١.

(٨١). انظر: انتشار الإسلام بحد السيف بين الحقيقة والافتراء، نبيل لوقا بباوي، ص٢٠، تقديم فوزي فاضل الزفزاف، رئيس اللجنة الدائمة للأزهر الشريف للحوار بين الأديان السماوية.

(٨٢). سورة التوبة، الآية:٢٩.

(٨٣). مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط:٣، ١٤٢٠هـ، ١٦/ ٢٣-٢٥، وانظر: التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير

الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ، ١٠/ ١٦٣.

(٨٤). انظر: الجزية وأحكامها، علي أكبر الكلانتري، ط: ١، سنة الطبع: ١٤١٦، مؤسسة النشر الإسلامي، ص١٧١.

(٨٥). موسوعة حقوق الإنسان في الإسلام، الدكتور رفعت محمد مرسي طاحون، المجلد السادس، دار النوادر، ط١: ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م، سورية-لبنان-الكويت: ٣٣٩/٤.

(٨٦). م. ن: ٨٤/٤.

(٨٧). سورة الحج، الآيتان: ٣٩-٤٠.

(٨٨). ظ: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، ط١: ٣١٨/٩.

(٨٩). الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي: ٩٤/٢.

(٩٠). سورة التوبة، الآيات: ٧- ١٣.

(٩١). سورة الممتحنة، الآيتان: ١-٢.

(٩٢). انظر: انتشار الإسلام بحد السيف بين الحقيقة والافتراء، نبيل لوقا بباوي، ص٤٣.

(٩٣). بين الجاهلية والإسلام، محمد مهدي شمس الدين، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٩٥: ٨٥.

(٩٤). ظ: م. ن: ٨٦.

(٩٥). ظ: م. ن: ٨٦.

(٩٦). سورة البقرة، الآية: ١٩٠.

(٩٧). سورة الحجرات، الآية: ٩.

(٩٨). انظر: مبادئ التعايش السلمي في الإسلام منهجاً.. وسيرة، عبد العظيم إبراهيم المطعني، ص٩٢.

(٩٩). وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي، (ت: ١١٠٤)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط٢، سنة الطبع: ١٤١٤، المطبعة: مهر، قم، الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث بقم المشرفة، ٥٨/١٥، حديث ٢.

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

١. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، الطبعة: الثانية، تأريخ النشر: ١٤٢٩ق، الناشر مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، إيران، قم.

٢. انتشار الإسلام بحد السيف بين الحقيقة والافتراء، نبيل لوقا بباوي، الكتاب وافق عليه الأزهر الشريف وأوصى بترجمته إلى كل لغات العالم فهو كتاب يهم كل مسلم ومسيحي.

٣. بين الجاهلية والإسلام، محمد مهدي شمس الدين، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان ١٩٩٥.

٤. التعايش السلمي بين الأديان السماوية في الأندلس، من الفتح الإسلامي حتى نهاية دول الطوائف، علي عطية الكعبي، ط:١، ٢٠١٤م، رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٨٠٥ لسنة ٢٠١٤.

٥. تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت: ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ) الناشر: دار الحديث - القاهرة، الطبعة: الأولى.

٦. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ) تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٧. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، الطبعة: الأولى.

٨. تيسير التفسير، إبراهيم القطان (ت: ١٤٠٤هـ).

٩. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ) تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

١٠. السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت: ٢١٣هـ) تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.

١١. العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ) المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

١٢. فتحُ البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت: ١٣٠٧هـ) عني بطبعه وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنَّشْر، صَيدَا - بَيروت، عام النشر: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.

١٣. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ) الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧هـ.

١٤. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت: ٤٢٧هـ) تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢م.

١٥. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي (ت: ٩٧٥هـ)، تحقيق: بكري حياني – صفوة السقا، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

١٦. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤هـ.

١٧. مبادئ التعايش السلمي في الإسلام منهجاً.. وسيرة، عبد العظيم إبراهيم المطعني، دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة، محرم: ١٤١٧/ مايو١٩٩٦.

١٨. المصباح، العدد: ٢٩، (٢٠١٧-١٤٣٨هـ) مبادئ التعايش السلمي للفرد والمجتمع (رؤية قرآنية) حسن الصفار.

١٩. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.

٢٠. موسوعة حقوق الإنسان في الإسلام، الدكتور رفعت محمد مرسي طاحون، المجلد السادس، دار النوادر، ط١: ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م، سورية-لبنان-الكويت.

٢١. نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، تحقيق وشرح: الشيخ محمد عبده، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٢ – ١٣٧٠ ش، المطبعة: النهضة – قم، الناشر: دار الذخائر – قم – ايران.

٢٢. وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي، (ت: ١١٠٤)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤١٤، المطبعة: مهر، قم، الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث بقم المشرفة.